مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد :17 / العدد: 1/ 2019/ ص ص 47-61 EISSN 2600-6499

مآذن مساجد مدينة وهران
The minarets of the city Oran

علي بوتشيشة [1] ♦
[1]جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله – معهد الاثار – (الجزائر) – ali.boutchicha@univ-alger2.dz -

تاريخ الإستلام : 2018/012/24 – تاريخ القبول : 2019/03/09 – تاريخ النشر : 2019/12/31

الملخص :

تعد المئذنة أحد أهم عناصر المسجد وهي التي ارتبطت به منذ ظهورها الأول وظلت كذلك إلى يومنا هذا، ورغم اختلاف الباحثين حول مصدر اشتقاقها إلا أن المسلمين أبدعوا فيها إبداعا كبيرا سواء من الناحية المعمارية أو الفنية. وقد احتفظت لنا مساجد وهران بنماذج جميلة منها لا تختلف كثيرا من حيث تركيبتها المعمارية وزخارفها الفنية عن المآذن الاسلامية عموما ومآذن بلاد المغرب على وجه الخصوص، مما جعلها تجسد بالفعل أحد خصائص العمارة الاسلامية وهي الوحدة والتنوع.
الكلمات المفتاحية : المئذنة – المسجد– وهران – بلاد المغرب– العمارة الإسلامية.

Abstract :

The minaret is one of the most important elements of the mosque. It has been associated with it since its first appearance and has remained so to this day. Although researchers disagree on the source of their derivation, but Muslims have created great creativity in architectural and artistic terms. The mosques of Oran have attracted us with beautiful models, not much different in terms of architectural structure and artistic decorations of Islamic minarets in general and the minarets of the Islamic Maghreb in particular. The minarets of Oran represent one of the characteristics of Islamic architecture, which is unity and diversity.

Keywords : Minaret –Mosque –Oran- Maghreb – Islamic architecture.

تعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد – إضافة إلى بيت الصلاة والصحن والمحراب – بما ضمته من عناصر معمارية عديدة وما احتوته من زخارف ثرية[1]، وتمثل دورها الأساسي – عموما – في النداء إلى

♦ المؤلف المرسل.
(1) - عبد العزيز لعرج، "المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة؛ المسجد الجامع"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص. 148.

الصلاة، وقد أكسبت المسجد طابعا جد مميز، بل كان" لها معنى ومغزى أوسع من مجرد رمز للحضور، ونادرة جدا هي الحالات التي يخلو فيها مسجد من مئذنة"[2]. وقد كانت تضاء بالمصابيح في شهر رمضان عند كل غروب ثم تطفأ مع طلوع الفجر إيذانا ببدء يوم جديد من أيام الصيام[3].

وقد تأخرت المئذنة في الظهور، ويعتقد أن أولاها هي تلك التي بناها زياد بن أبيه عام 45هـ بمسجد البصرة حينما قام بتجديده[4]، إلا أن أقدم مئذنة ما تزال قائمة إلى اليوم هي التي بجامع القيروان[5].

وتعدّ المئذنة الجزء الأكثر مقاومة في المساجد والأكثر اهتماما من طرف المعمار المسلم، حيث اختفت الكثير من المساجد واندثرت أو تحولت إلى أطلال أو جددت جزئيا أو كليا بينما ظلت مآذنها قائمة كما هو الشأن بالنسبة لجامع القلعة وأغادير والمنصورة[6]، إضافة إلى جامع محمد بن عثمان الكبير بوهران.

وتنوعت أشكال المآذن وتعددت طوابقها حسب المناطق والفترات، كما اختلف موضع بناءها – أيضا – بين مسجد وآخر، وقد بقت الجزائر (المغرب الأوسط) وفية للتقاليد المعمارية المغربية الأندلسية فيما يخص نظام المآذن ذات المسقط المربع إلى غاية الفترة العثمانية حيث استخدمت المآذن ذات المسقط المضلع لأول مرة[7]، وهو الذي عرفته إيران منذ أمد بعيد[8]، ثم من بعدهم السلاجقة وبالأناضول ذاتها[9]، ليستخدمه الأتراك في بلاد المشرق والمغرب فيما بعد[10]، مع العلم أن بلاد الشام عرفت هذا النوع من المآذن عهد المماليك[11]، كما أنه انتشر في مصر شكل مركب من المآذن ذو طبقات ثلاث في الغالب؛

---

(2) - Grabar, O. **La formation de l'Art islamique**, traduit de l'Anglais par Yves Thoraval, Flammarion, Paris, 2000,P.163 et 166.

(3) - يحي وزيري، **"العمارة الإسلامية والبيئة"**، مجلة عالم المعرفة، عدد 304، جوان 2004م، ص. 144.

(4) - Encyclopédie de l'Islam, T. 6, , Nouvelle édition, T. 6, « Manar et Masdjid », G.-P. Maisonneuve et larose S.A., Paris, 1991 , P. 346.

(5) - يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الاسلامية**، الجزء 2، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م، ص.101.

(6) - Marçais, G. **L'Art en Algérie**, Imprimerie algérienne, Alger, 1906, P.99.

(7) - Marçais, G. **L'art musulman**, Presse universitaire de France, Paris, 1962, P.162.

(8) - زكي محمد حسن، "تطور المآذن"، مجلة الكتاب، السنة الأولى، الجزء 11، شوال 1365هـ، ص. 723 **وانظر** :- جمعة أحمد قاجة، **المرجع السابق**، ص. 350.

(9) - أوقطاي أصلان آبا، **فنون الترك وعمائرهم**، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الإسلامية بإستنبول (IRCICA)، استنبول، 1987م، ص.150.

(10) - تميزت المساجد العثمانية في تركيا عموما بتعدد مآذنها وتفاوت أطوالها حتى في المسجد الواحد كما تميزت بشكلها النحيف ورأسها المدبب. – علياء عكاشة، **العمارة الإسلامية في مصر**، بردي للنشر، الجيزة، مصر، 2008 ص. 35.

(11) - Ahmed Saadaoui, « Les Minarets octogonaux au Maghreb ottoman : origine et filiation », In Arab historical revieu for ottoman studies, T. 22, N° 43, Publication de la fondation Temimi pour la

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

مربع ثم مثمن ثم أسطواني وذلك قبل التواجد العثماني بها[12]. وكان أول ظهور للمآذن المضلعة بالجزائر في جامع صفر (941هـ/1535م)، كما تجلّت في جامع الباشا بوهران وجامع سيدي لخضر بقسنطينة وجامع المبايعة بمعسكر ومسجدي القصبة بمدينة الجزائر ومسجد لالا ريّا بتلمسان بعد ذلك.

والجدير بالذكر أن المآذن المثمنة كانت واحدة من العناصر المميزة للعمارة الرسمية ببلاد المغرب التابعة للخلافة العثمانية[13]، حيث ظهرت في مختلف مدنها على غرار طرابلس وتونس إضافة إلى الجزائر وقسنطينة وعنابة ووهران وغيرها، كما ظهرت في ذات الفترة ببعض مساجد بلاد المغرب الأقصى غير الخاضعة للحكم العثماني[14]. إلا أنه من المسلم به أن تركيا عُرفت مساجدها خاصة بمآذنها الأسطوانية الرشيقة ذات القمة المخروطية المدببة، شكل لم يتردد كثيرا في بلاد المغرب عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص.

وكانت المآذن ببلاد المغرب والأندلس مربعة لفترة طويلة حيث فرض هذا الشكل وجوده مبعدا جميع الأشكال الأخرى والذي يبدو أنه مستوحى من جامع دمشق[15]. ولم ينف الأستاذ أحمد فكري في البداية أن تكون فكرة المئذنة مستمدة من أحد الأبراج السورية المسيحية إلا أنه يضيف مستطردا :"ما أشدّ الفرق بينهما وما أكثر اختلاف قيمتهما الفنية، بينما تظهر هذه الأبراج في هيئة الجمود وتخلو من مظهر الاتزان، نرى مئذنة القيروان ترسم في الفضاء كتلة واحدة تجمع بين الانسجام والاتزان"[16]، ليتراجع عن رأيه حول فكرة اشتقاق المئذنة في كتاب آخر له حيث يقول :" ومع ذلك فإنه من الثابت أن فكرة المئذنة فكرة أصيلة في الاسلام"، مفندا رأي الكثير من الباحثين المستشرقين ومن بينهم كريزويل ومارسي الذين يعتقدون أن بناء المئذنة مستوحى من الأبراج المسيحية[17].

---

recherche scientifique et de l'information, Tunis, Désember, 2011, P. 106.

(12) - زكي محمد حسن، "تطور المآذن"، ص. 721. **وانظر** : - حسن عبد الوهاب،" المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية"، مجلة المجلة، العدد 27، شعبان، 1378هـ، ص 38.

(13) - Ahmed Saadaoui, **Op.Cit**., P. 85.

(14) - **Ibid** , P. 92 et 104.

(15) - Marçais, G. **L'Architecture musulmane d'Occident**, Art et Métiers graphique, Paris, 1975, P.209.

(16) - أحمد فكري، **المسجد الجامع بالقيروان**، ص111.

(17) - أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها- المدخل**، دار المعارف بمصر، الإسكندرية، 1962م، ص. 276.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

ومع ذلك فإن أصل المئذنة ما يزال مختلفا فيه، فإن كان البعض يعتقد أنها فكرة إسلامية بحتة، فإن البعض الآخر يراها مشتقة إما من أبراج الكنائس أو من أبراج المراقبة أو من المنارات القديمة أو من بعض أبراج العبادة في العراق وبلاد الجزيرة والهند[18].

ومن هذه المآذن الجديرة بالذكر في المغرب والأندلس؛ مئذنة جامع القيروان التي تعتبر أقدم مئذنة في المغرب الإسلامي[19]، بنيت في النصف الأول من القرن 2هـ/8م[20]، ذات مسقط مربع، تتكون من ثلاثة طوابق، وقد أصبحت هذه المئذنة مثالا يُحتذى به في بلاد المغرب والأندلس[21]، وعموما فإن مآذن بلاد المغرب والأندلس شكلت مدرسة فريدة في العالم الإسلامي من خلال التزامها بنموذج وحيد استمر العمل به لأزيد من عشرة قرون[22].

وعموما فان المآذن في الجزائر خلال الفترة العثمانية تعددت أشكالها، فنجد المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة المركبة[23]. وينبغي الإشارة هنا أن موقع المئذنة في مساجد الجزائر خلال هذا العهد – وعلى غرار الكثير من المساجد في بلاد المغرب والأندلس – لم يخضع لأية قاعدة[24]، بل كانت تقوم في الموضع الذي يراه المعمار مناسبا ووفق المساحة المتاحة، وربما هي العنصر الوحيد من بين عناصر المسجد الرئيسية التي لم تتخذ موضعا ثابتا على غرار بيت الصلاة والمحراب وحتى الصحن في معظم الأحيان. وقد كانت تقام قبل القرن الرابع الهجري مستقلة عن بيت الصلاة وغالبا في مواجهة محور المحراب كما كان الشأن في أغلب مساجد بلاد المغرب الإسلامي[25].

الدراسة الوصفية لمآذن مساجد مدينة وهران:

أولا: المآذن ذات المسقط المربع :

(18) - زكي محمد حسن، "تطور المآذن"، ص.717.

(19) - يعتقد صالح بن قربة أن تكون مئذنة جامع القيروان قد بنيت مابين سنتي 105 و121هـ/724 و729م، ويضيف أنه " إذا سلمنا بهذا التاريخ فان مئذنة جامع القيروان تعدّ أقدم المآذن الإسلامية الباقية". - صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص33.

(20) - عزوق عبد الكريم، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1991م،ص23.

(21) - Golvin, L. **Essai sur l'Architecture religieuse musulmane**, T.1, Généralités, Edition Klincksieck, Paris, 1970, P.50.

(22) - **Encyclopédie de l'Islam**, **Op. Cit**. P. 348.

(23) - عن مآذن الفترة العثمانية بالجزائر وأشكالها المعمارية **أنظر** : - عزوق عبد الكريم ، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط**، الفصل الرابع.

(24) - **نفسه**، ص129.

(25) - Dokali, R. **Les Mosquées de la période turque à Alger**, S.N.E.D., Alger, 1974, P.41. - جمعة أحمد قاجة، **موسوعة فن العمارة الاسلامية**، دار الملتقى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 200م، ص. 352.

1- مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير[26] :

تعتبر مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير واحدة من أجمل مآذن الجزائر، تحتل الجهة الشمالية الغربية من بيت الصلاة، بناها الباي محمد الكبير عقب فتحه لوهران عام 1207هـ/ 1792-1793م، وهذا ما تطالعنا به الكتابة التأسيسية الموجودة بالواجهة الجنوبية للمئذنة، والتي جاء فيها:"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله/

أما بعد فقد أمر بإنشاء هذه المنارة/

الرفيعة والمئذنة الرايقة البديعة عبد/

الله المجاهد في سبيل الله السيد/

محمد ابن عثمان باي الايالة الغربية وتلمسان/

وفاتح ثغر وهران كان الله له حيث كان/

سنة 1207/."

([26])-**الباي محمد بن عثمان الكبير** : هو الباي الثاني الذي حكم وهران والسابع والعشرين للبايليك ولد بمليانة في الثلاثينات من القرن 18م، وقد شغل الكثير من المناصب الإدارية حيث عينه الباي إبراهيم قائدا على قبائل فليتة عام 1178هـ/1764م ثم خليفة له في القطاع الشرقي من بايليك الغرب، عقب وفاة الباي خليل عينه باشا الجزائر محمد عثمان بايا على البايليك وذلك عام 1193هـ/1779م، ويعتبر تحرير وهران من أعظم منجزات الباي، وقد خلف لنا الكثير من المنجزات المعمارية سواء في معسكر عاصمته الأولى أو وهران عاصمته الثانية التي انتقل إليه بعيد الفتح بل وفي الكثير من المدن الأخرى كتلمسان والبرج ومستغانم ومليانة. توفى الباي محمد الكبير سنة 1213هـ/ 1799م ببلاد صبيح بالشلف عند عودته من الجزائر بعد أن أدى دنوشه، وقد خلفه على رأس البايليك إبنه عثمان. _ علي بوتشيشة، **المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران**، رسالة ماجستير، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2008م، ص.ص 7-11.

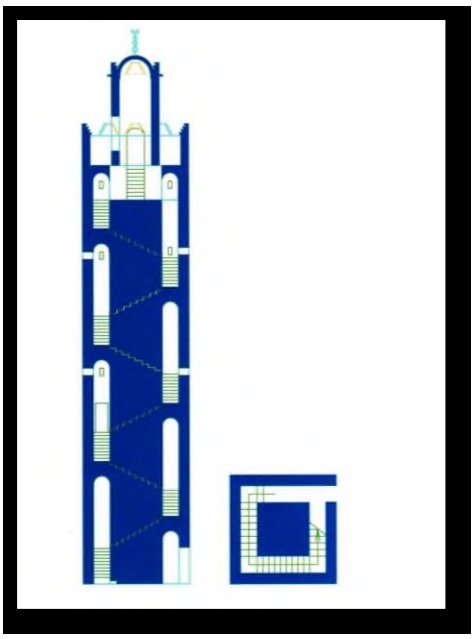

مخطط1: مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير.

صورة 1: مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير.

وتتشابه من حيث شكلها ونظامها المعماري مع المآذن المغربية الأندلسية عامة والمآذن الزيانية والمرينية خاصة، لها شكل مربع، طول ضلع قاعدتها 6م وسمك جدرانها 0.50م ويصل ارتفاعها إلى 30م، تتكون من طابقين ؛ البرج الرئيسي والجوسق (أنظر المخطط 1 والصورة 1).

يبلغ ارتفاع البرج الرئيسي 23.60م، له أربعة واجهات تزخر بالزخارف المتنوعة والتي يمكن تقسيمها إلى أربعة قطاعات زخرفية، القطاع الأول عبارة عن حشوة مربعة قوام زخارفها شبكة من المعينات المتضافرة محصورة بين عقدين مقرنصين من ستة رؤوس، أما بنيقة العقدين في الواجهة الجنوبية فقوام زخارفها عبارة عن مربع مكون من 16 رأس تتوسطه وريدة ذات 16 فصا وفي الواجهة الشرقية نجد نجمة سداسية الرؤوس[27] تتوسطها وريدة من سبعة فصوص، بينما تحتل الكتابة التذكارية المرصعة على لوحة رخامية بطن الحشوة بالواجهة الجنوبية[28].

أما القطاع الثاني فهو عبارة – أيضا – عن حشوة مربعة يتوسطها في الواجهة الجنوبية عقد مفصص على شكل عقد منكسر متجاوز وفي الواجهة الشرقية عقد مفصص مشكل من عقود ذات

---

(27) - نشير إلى أن النجمة الموجودة على اليمين أزيل أحد رؤوسها بينما التي على اليسار أزيل رأسان من رؤوسها، ويبدو ذلك راجع لاعتبارات معينة.

(28) - نلاحظ حاليا أن قطاع الواجهة الشمالية وقطاع الواجهة الغربية محجوبان بسبب البناء الملاصق للمئذنة.

الشرفة، ونلاحظ أن جميع حشوات القطاعين مؤطرة من ثلاثة جوانب بشريط من البلاطات الخزفية مكون من صفين.

والقطاع الثالث عبارة عن حشوة غائرة مستطيلة الشكل مؤثثة بشبكة من المعينات تستند على عدة عقود، ففي الواجهة الشرقية حملت شبكة المعينات على عقدين من تسعة فصوص يرتكزان على عمود رشيق من الحجر، أما في الواجهة الشمالية والجنوبية فقد حملت على عقدين مقرنصين من ثلاثة رؤوس يرتكزان على عمود من نفس شكل وحجم العمود السابق، وفي الواجهة الغربية حملت على أربعة عقود ثلاثية الفصوص تقوم على أعمدة ذات قواعد مربعة ودون تيجان.

أما القطاع الرابع فهو عبارة عن حشوة مستطيلة غائرة قوام زخارفها أربعة عقود تتشكل من تسعة فصوص تسندها ثلاثة أعمدة حجرية رفيعة.

يفتح باب المئذنة في الضلع الغربي اتساعه 1م وعلوه 2م، يقابله مباشرة الدرج الصاعد الذي يلتف حول النواة المركزية عكس اتجاه عقارب الساعة، وهي عبارة عن دعامة مربعة صماء طول ضلع قاعدتها 1.50م، نجد إلى يسارها غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف أسطواني ناتج بالضرورة عن التركيب المعماري للمئذنة يستغل في العادة كمخزن.

يتكون السلم الصاعد من 128 درجة و15 دورة، تتضمن الدورة الأولى درجتين، أما باقي الدورات فتتكون من تسع درجات باستثناء الدورة الثالثة التي تتكون من عشر درجات والدورة الخامسة التي تتكون من ثمان درجات، وكلها مغطاة بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة، كما هو الشأن في مئذنة جامع الباشا ومئذنة مدرسة الباي ومعظم المآذن المغربية الأندلسية.

أُضيئت الدورات بفتحات مستطيلة ضيقة احتلت الأركان بلغ عددها ثمانية، وتجدر الإشارة إلى وجود باب ضيق عند الدورة السادسة بالجدار الشمالي يفضي إلى سطح المبنى الملاصق للمئذنة. ويقابل الدورة الأخيرة إلى اليمين غرفة مستطيلة، وننفذ إلى سطح البرج الرئيسي عبر باب معقود بعقد نصف دائري، ولهذا السطح ممشى ملتف اتساعه 1.22م محاط بجدار سمكه 0.45م وارتفاعه 1.66م ينتهي بشرّفات مسننة عددها أربعة في كل ضلع.

أما زخارفه فهي عبارة عن حشوات مستطيلة قوامها تشبيكة من المعينات قائمة على عقد من تسعة فصوص في الواجهة الجنوبية والشمالية، وعلى عقد مقرنص من رأسين في الواجهة الشرقية والغربية، يحيط بهذه الحشوات شريط زخرفي من ثلاث جوانب عبارة عن بلاطات خزفية ملونة.

2- مئذنة مدرسة الباي :

تقع هذه المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي من المدرسة وهي على طراز المآذن المغربية الأندلسية، ذات مسقط مربع، يبلغ طول ضلع قاعدتها من الخارج 3.5م ويبلغ سمك جدرانها 0.5م بينما يصل ارتفاعها إلى 19م (أنظر المخطط 2 والصورة 2).

عند الدخول إليها تواجهنا نواة مركزية عبارة عن دعامة مربعة صماء طول ضلعها 0.95م، يوجد على يسارها غرفة صغيرة مستطيلة الشكل على غرار غرفة مئذنة جامع الباشا يغطيها قبو نصف أسطواني.

نصل إلى جوسق المئذنة عبر درج صاعد يلتف حول النواة المركزية يتكون من53 درجة و13 دورة (إنعطاف)، كل دورة تشتمل على أربع درجات ما عدا الدورتين الخامسة والسادسة اللتان تتضمنان خمس درجات والدورة الأخيرة التي تتضمن ست درجات. والدورات مغطاة بأقبية نصف أسطوانية تتحول عند الأركان إلى أقبية متقاطعة، تضاء هذه الدورات من خلال فتحات مستطيلة ضيقة تأخذ من الخارج شكلا زخرفيا داخل العقود الزخرفية.

نصل إلى سطح البرج الرئيسي عبر باب معقود بعقدين موتورين متراكبين، ويقوم وسط السطح الجوسق، وهو مربع الشكل طول ضلعه 1.43م تغطيه قبيبة ثمانية الأضلاع، استعملت لتغطية الفراغ المربع للجوسق، وللانتقال من الشكل المربع إلى الشكل المثمن؛ استخدم المعمار المثلثات الركنية، وقد تميزت رقبة هذه القبيبة بالطول المفرط، وينتصب في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح كبيرة من البرونز يعلوها هلال.

تزدان واجهات الجوسق الأربعة في الأعلى بشريط من البلاطات الخزفية مكون من ثلاث صفوف أفقية يعلوها طنف بارز، في حين تتوج الجدران بشرّفات تحتل الأركان.

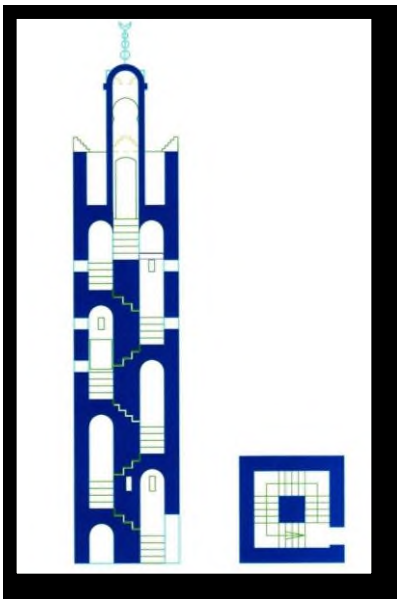

مخطط 2: مقطع طولي وعرضي لمئذنة مدرسة الباي.

صورة 2: مئذنة مدرسة الباي

ويتكون البرج الرئيسي من حيث الزخارف من الواجهات الأربعة التي تنقسم إلى أربعة قطاعات، الأول منها خال تماما من الزخرفة، أما باقي القطاعات فزخارفها بسيطة، القطاع الأول عبارة عن عقدين مفصصين والقطاع الأوسط متوج تارة بعقدين ذو شرفة وتارة بعقدين مقرنصين أما القطاع الثالث فمزدان بثلاثة عقود ذات خمسة فصوص، ويفصل بين هذه القطاعات طنف بارز، وينتهي البرج بشرّفات مسننة؛ أربعة توجد في الأركان وأربعة توجد في منتصف الأضلاع.

3- مئذنة مسجد الإمام سيدي الهواري :

تقوم المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة في صورته الحالية، مسقطها ذو شكل مربع حيث يبلغ طول ضلع قاعدتها 3.50م ويتراوح سمك جدرانها عموما ما بين 0.45م و0.60م ويصل ارتفاعها إلى نحو 17.60م، تتكون من طابقين اثنين؛ البرج الرئيسي والجوسق (المخطط 3 والصورة 3).

يبلغ ارتفاع البرج الرئيسي 11.77م له أربعة واجهات لا تظهر بشكل كامل بسبب موقع بناء المئذنة داخل بيت الصلاة من جهة، ولالتصاق ضريح الإمام الهواري بالجزء السفلي من واجهتها الشرقية من جهة أخرى.

أما من حيث زخرفة واجهاته فهي بسيطة ومتشابهة عبارة عن قطاع واحد فقط يتشكل من عقد مفصص أصم يؤطره شريط مكون من صف واحد من البلاطات الخزفية الكبيرة (20X20سم)، هذا

القطاع الزخرفي البسيط يتكرر بذات الشكل في جميع واجهات البرج الرئيسي للمئذنة ما عدا الواجهة الشمالية الخالية من أي زخرفة.

نصل إلى جوف المئذنة من خلال بيت الصلاة وعبر مدخل يقع في الركن الشمالي الغربي من قاعدتها، عرضه 0.8م وعلوه نحو 2م، يفتح مباشرة على الدرج الصاعد الذي يلتف بشكل منكسر حول النواة المركزية للمئذنة عكس اتجاه عقارب الساعة وهي عبارة عن دعامة صماء طول ضلع قاعدتها 1م.

يتشكل الدرج الصاعد للمئذنة من 42 درجة وعشر استراحات، الأخيرة منها تصلنا مباشرة بممشى الجوسق. نصل إلى الاستراحة الأولى عبر ثماني درجات، أما باقي الأستراحات فنصلها عبر أربع درجات باستثناء الاستراحة التاسعة التي نصلها من خلال درجة واحدة والعاشرة التي نصلها من خلال خمس درجات، ثم ننحرف إما يمينا أو يسارا لنطوف بالجوسق عبر درجة واحدة. وقد غطيت إستراحات الدرج الصاعد بأقبية نصف أسطوانية.

أُضيئ الدرج الصاعد بفتحات مستطيلة معظمها احتل أركان البرج الرئيسي وبعضها احتل منتصف أضلاع الجدران. وتجدر الإشارة إلى وجود مدخل صغير يفضي بنا إلى سطح بيت الصلاة نصله من خلال درجتين عرضه 0.65م وارتفاعه 1.65م ذو عقد نصف دائري. كما فتحت نافذة لم نتأكد من أصالتها في منصف الجدار الجنوبي عند الدورة الثانية عرضها 0.70م وعلوها 1.48م. ويبقى أن نشير إلى وجود غرفة جد صغيرة تقع إلى اليمين من الاستراحة ما قبل الأخيرة طولها 1.48م وعرضها يتراوح ما بين 0.75م و0.95م.

ننفذ إلى سطح البرج الرئيسي حيث يقوم الجوسق عبر مدخل معقود بعقد نصف دائري والذي من خلاله نصل إلى ممشى السطح الذي يتراوح اتساعه ما بين 0.65م و0.75م محاط بجدار علوه يتراوح ما بين 1.45م و1.60م ينتهي بشرفات مسننة أربعة منها تحتل الأركان وأربعة أخرى تتوسط الأضلاع.

يقوم جوسق المئذنة وسط سطح البرج الرئيسي وهو مربع الشكل طول ضلعه 1.37م تغطيه قبيبة نصف دائرية رُكِّبَ في أعلاها سفود من ثلاث تفافيح منتهي بهلال. وللعلم فإن هذا الجوسق حديث أعيد بناءه خلال عملية الترميم، ذلك أن الجوسق الأصلي هدمته الإدارة العسكرية الفرنسية حيث استعملت سطح هذه المئذنة –على غرار العديد من مآذن المساجد الجزائرية – كبرج للمراقبة.

أما زخارف واجهات الجدار المحيط بالجوسق – الذي لم يهدم– فهي عبارة عن حشوة مستطيلة غائرة مشكلة من بائكة صماء من ثلاثة عقود مفصصة محمولة على أعمدة بدون تيجان، وتتكرر هذه الزخارف وبنفس الشكل في الواجهات الأربعة كلها.

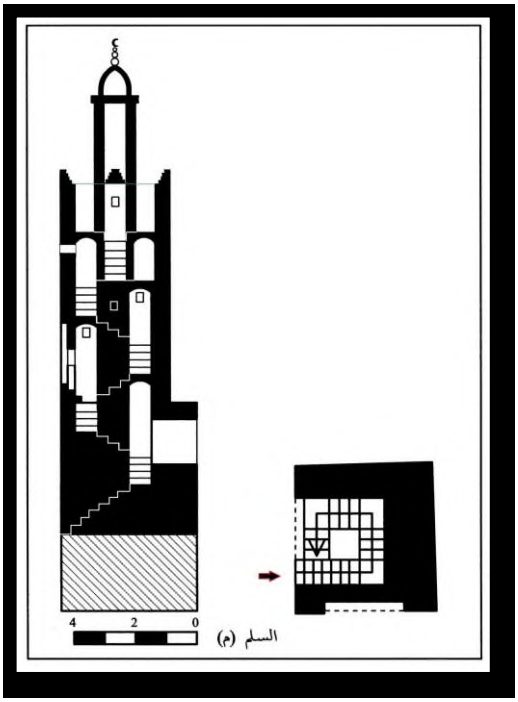

مخطط 3: مقطع طولي وعرضي لمئذنة مسجد الإمام سيدي الهواري.

صورة 3: مئذنة مسجد الإمام سيدي الهواري.

ثانيا : مئذنة جامع الباشا ذات المسقط المثمن:

تقوم في الركن الجنوبي الشرقي للجامع تبعد بـ5.90م عن بيت الصلاة، ذات مسقط أفقي مثمن الشكل طول ضلع قاعدتها 1.40م ويبلغ ارتفاعها نحو35م[29]، ويتراوح سمك حوائطها ما بين 50سم و86سم (أنظر المخطط 4 والصورة 4).

نصل إلى داخل مئذنة جامع الباشا عبر باب اتساعه 1م وارتفاعه 2.03م تواجهه نواة مركزية على هيئة دعامة شبه مربعة مساحتها 1.80 X 1.66م، يلتف حولها درج صاعد عكس اتجاه عقارب الساعة عدد درجاته 147 درجة عرض كل منها 80سم، كل دورة (إنعطاف) تشتمل على ست درجات، ثم يتغير فيها هذا النظام إلى خمس درجات وفي الدورة الأخيرة نجد تسع درجات.

غُطي الدرج بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة على غرار معظم المآذن الإسلامية، ويوجد أعلى كل بسطة فتحة صغيرة للإضاءة والتهوية. نصل عبر هذا الدرج الصاعد إلى سطح البرج الرئيسي من باب اتساعه 0.62م وارتفاعه 1.71م. هذا السطح محاط حاليا بسياج معدني حديث، يتوسطه جوسق ذو مسقط مثمن طول ضلعه 0.80م وارتفاعه 6.30م، إزدانت واجهاته الثمانية في نصفها العلوي بشريط من المربعات الخزفية.

صورة 4: مئذنة جامع الباشا

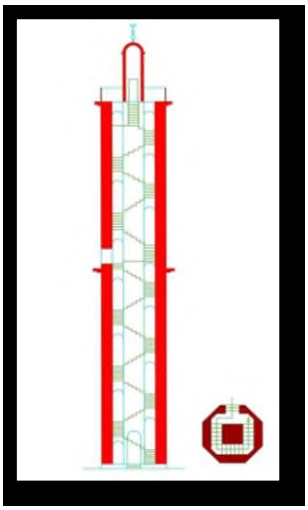

مخطط 4 : مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع الباشا

(29) - ذكر بعض المؤلفين والكتاب أن طول المئذنة هو 32م إلا أنه بعد التدقيق في القياسات تبين لنا أن طولها هو 35م (34م دون السفود) وهي تعدّ ثاني أعلى مئذنة في الجزائر بعد مئذنة جامع المنصورة البالغ علوها 38م. **أنظر** : – Bourouiba, R. **Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987,** P.274

غُطي الجوسق بقبيبة مضلعة تميزت من الخارج بأخاديدها، الأمر الذي لم نلاحظه على باقي قباب الجامع، ثُبت في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح من البرونز ينتهي بهلال. وظهور الأخاديد على القباب ليس بالشيء الجديد، حيث عهدناه في مآذن أخرى[30]. ونذكر هنا أن الممشى الذي يلتف حول الجوسق اتساعه 1.50م.

تغطي واجهات البرج الرئيسي الثمانية زخارف متشابهة قوامها عناصر معمارية وهندسية بسيطة تتوزع على خمسة قطاعات زخرفية، القطاع الأول لا يظهر منه إلا وجه واحد فقط لاحتجاب باقي الأوجه خلف البنايات الملتصقة بالمئذنة.

كل واجهة من القطاع يشغلها نطاق (حشوة) مستطيل غائر قليلا عن وجه المئذنة قوامه عقد مصمت نصف دائري ذو فصوص متراكبة (متقاطعة) يعلوه شريط من البلاطات الخزفية، أما القطاع الخامس فمتوج في أعلاه بشريط من البلاطات أكثر عرضا، ويفصل بين القطاع الثالث والقطاع الرابع طنف بارز يقسم البرج الرئيسي ظاهريا إلى قسمين، عرض هذا الطنف يقدر بـ70سم مما يجعل المئذنة تبدو وكأنها مكونة من ثلاثة طوابق.

الدراسة التحليلية للمآذن :

1- من حيث موضع المئذنة :

الملاحظ أن جميع مآذن وهران أقيمت بالزاوية الجنوبية الشرقية من المساجد فيما عدا مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير التي أقيمت في الزاوية الشمالية الغربية التي نرجح أن تكون بنيت في فترة مختلفة عن فترة بناء المسجد، مع التذكير أن مئذنتي جامع محمد بن عثمان الكبير ومئذنة جامع الباشا بنيتا بعيدتين وببضع أمتار عن بيت الصلاة عكس مئذنتي مسجد الإمام الهواري والمدرسة التي بنيتا ضمن كتلة المبنى.

ونذكر من ضمن المآذن في الجزائر خلال العهد العثماني والتي أقيمت بالزاوية الجنوبية الشرقية مئذنة جامع صفر ومئذنة جامع المبايعة ومئذنة جامع سيدي محمد بن الشارف بمازونة، أما تلك التي

(30) - من هذه المآذن نذكر على سبيل المثال: مئذنة جامع الكتبية بمراكش ومئذنة جامع القيروان، عن ذلك **أنظر** :
Marçais,G. **Manuel d'Art musulman**, Edition Auguste Picard, Paris, 1926, P.399, Fig. 227. -
Marcais,G**. l'Architecture musulmane d'Occident,** P.13, Fig.1.-

أقيمت بالزاوية الشمالية الغربية على غرار مئذنة جامع محمد بن عثمان فنجد مئذنة الجامع الجديد بمدينة الجزائر ومئذنة جامع سوق الغزل بقسنطينة.

وينبغي الإشارة هنا أن موقع المئذنة في مساجد الجزائر خلال هذا العهد – وعلى غرار الكثير من المساجد في بلاد المغرب والأندلس – لم يخضع لأية قاعدة[31]، بل كانت تقوم في الموضع الذي يراه المعمار مناسبا ووفق المساحة المتاحة، وربما هي العنصر الوحيد من بين عناصر المسجد الرئيسية التي لم تتخذ موضعا ثابتا على غرار بيت الصلاة والمحراب وحتى الصحن في معظم الأحيان. وقد كانت تقام قبل القرن الرابع الهجري مستقلة عن بيت الصلاة وغالبا في مواجهة محور المحراب كما كان الشأن في أغلب مساجد بلاد المغرب الإسلامي[32].

2- من حيث تشكيلها المعماري:

تتكون هذه المآذن من طابقين ويعلو الجوسق قبيبة يتوجها سفود بارز تركب فيه كرات معدنية تعرف بالتفافيح، ويصعد إلى قمتها عبر درج صاعد يلتف حول دعامة مركزية مصمتة[33]، وذلك عكس اتجاه عقارب الساعة، وتغطي كل مقطع من الدرج الصاعد سلسلة من الأقبية البرميلية، بنيت في الجزء السفلي بشكل جيد ومشكلة عند الزوايا – بتقاطعها – أقبية متقاطعة[34]. وقد زودت جميع المآذن بفتحات ضيقة للإضاءة والتهوية ذات شكل مزغلي غالبا وجاءت في مستوى مرتفع عموما لا يمكن الصاعد من الإطلاع على عورات البيوت.

وعموما فان المآذن في الجزائر خلال الفترة العثمانية تعددت أشكالها، فنجد المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة المركبة[35].

ومن جهة أخرى فان المآذن ذات الطابقين هي الأكثر شيوعا في الجزائر خلال عهودها المتلاحقة[36] بما في ذلك العهد العثماني[37]، علما بأن أول مئذنة ظهرت بالمغرب الإسلامي كانت تتكون من ثلاثة

---

(31) – عزوق عبد الكريم، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط**، ص129.
Dokali, R. **Op.Cit.**, P.41. -
(32) - جمعة أحمد قاجة، **المرجع السابق**، ص. 352.
(33) - عزوق عبد الكريم، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط** ، ص. 129-130.
(34) - Golvin,L. **Essai**…, T.1, P51.
(35) - عن مآذن الفترة العثمانية بالجزائر وأشكالها المعمارية **أنظر** : - عزوق عبد الكريم ، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط**، الفصل الرابع.
(36) - Bourouiba,R. **Apports...,** P.273.
(37) - عزوق عبد الكريم، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط** ، ص129.

طوابق وهي مئذنة جامع القيروان. وبموضوع ذو علاقة فإن مئذنة جامع الباشا تبدو ظاهريا وكأنها تتكون من ثلاثة طوابق والحقيقة أنه أضيفت لها شرفة في منصف برجها الرئيسي مما قد يعدّها البعض طابقا ثالثا، ومن المرجح أن هذه الشرفة السفلى كانت تستخدم للآذان بالليل بينما تستخدم الشرفة العليا للآذان بالنهار.

3- من حيث الشكل :

جاءت مساقط مآذن مساجد مدينة وهران مربعة باستثناء مئذنة جامع الباشا التي اتخذ مسقطها الشكل المثمن على غرار مآذن جامع صفر وجامع سيدي لخضر ومسجد المبايعة.

ويبدو أن إقامة المآذن متعددة الأشكال خلال الفترة العثمانية كان يحمل في طياته دلالات قد تكون سياسية ومذهبية على الأرجح، فبلاد المغرب والأندلس عموما ومن بينها المغرب الأوسط حافظت على تقاليدها الموروثة في بناء المآذن ذات المسقط المربع، واستمر ذلك التقليد حتى خلال الفترة العثمانية مع فرض شكل جديد وهو المآذن ذات المسقط المثمن في بناء بعض المساجد والتي نعتقد أنها تتبع المذهب الحنفي مذهب الحكام الجدد، في مقابل المساجد ذات المذهب المالكي مذهب أهل البلد[38].

ولقد نفذ بناء هذه المآذن وفق طراز معماري مألوف انتشر في بلاد المغرب والأندلس، والذي يكون قد انتقل إليها من جامع دمشق عبر القيروان، واستمر العمل به لقرون عديدة إلى غاية بداية العهد العثماني حيث أخذت في الظهور طرز جديدة[39]. ومن أمثلة المآذن ذات المسقط المربع العائدة للفترة العثمانية نذكر مآذن كل من مسجد علي بتشين والجامع الجديد ومسجد القصبة البراني وجامع مصطفى التهامي بمعسكر.

---

(38) - مازال إلى اليوم أحد المساجد بمدينة البليدة يحمل اسم المسجد "التركي الحنفي" (1750م) كانت له مئذنة مضلعة. **أنظر** :- وسعاد بن شامة، **المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني**، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص.112.

كما مازال العديد بوهران يسمون جامع الباشا بجامع "الترك" وهو الآخر له مئذنة مضلعة.

(39) - جميع مآذن المساجد السابقة للفترة العثمانية- تقريبا- ذات مسقط مربع، لمزيد من التفاصيل **أنظر**:- بن قربة صالح ، **المرجع السابق** وعزوق عبد الكريم ، **تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط**.

4- من حيث الارتفاع :

جاءت مآذن وهران متوسطة في ارتفاعها على غرار مآذن الجزائر عموما لا سيما خلال الفترة العثمانية[40]، فأعلى هذه المآذن وهي مئذنة جامع الباشا لم يتعد ارتفاعها الخمس وثلاثين مترا، في حين بلغ ارتفاع مئذنة جامع محمد بن عثمان 30م ومئذنة المدرسة 19م ومئذنة مسجد الإمام الهواري 17.60م.

ورغم عدم ارتفاع هذه المآذن كثيرا؛ فإنها كانت تضمن – حسب اعتقادنا- وصول صوت المؤذن إلى أقاصي المدينة في ظل محدودية مساحة وهران، مع ملاحظة أن مئذنتي جامع الباشا وجامع محمد بن عثمان – اللتان تتوسطان المدينة تقريبا- كانتا أكثر ارتفاعا، عكس مئذنتي مسجد الإمام الهواري – الواقع تقريبا في الطرف الجنوبي من المدينة –ومئذنة المدرسة – الواقعة في خنق النطاح وهي بلدة غير مكتظة بالسكان – واللتان جاءتا أقل ارتفاعا لعدم الحاجة إلى تطويلهما.

وخلاصة القول أن علو أو قصر ارتفاع المآذن قد يتحدد – أحيانا- لغرض نقل صوت المؤذن إلى أبعد نقطة ممكنة في المدينة[41]، ومن جهة أخرى – وهو الذي نعتقده – أن يسمح هذا الارتفاع برؤية جوسقها من قبل جميع السكان حتى يتسنى لمن لم يتح له سماع الآذان برؤية الراية التي تعلق في أعلى المئذنة إعلانا بدخول وقت الصلاة وفق ما كان معمول به في بلاد الجزائر وغيرها من البلدان.

5- من حيث ارتفاع جدار الجوسق :

تشابهت مآذن وهران ذات المسقط المربع من حيث ارتفاع جدار سطح برجها الرئيسي الذي اقترب كثيرا من قامة إنسان متوسط الطول، ففي مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير بلغ علوه 1.66م وفي مئذنة مسجد الإمام الهواري بلغ علوه 1.60م أما جدار جوسق مئذنة المدرسة فتراوح ما بين 1.47م و1.57م، كما تشابه سمك هذه الجدران إلى درجة التقايس حيث تراوح ما بين 45سم و50سم، ويبدو القصد من بناء هذه الجدران بهذا الشكل ووفق هذه المقاييس هو منع المؤذنين من الاطلاع على عورات البيوت مع مراعاة امتداد صوته بشكل أفقي دون أن يحول الجدار بينه.

---

(40) - من هذه المآذن نذكر مئذنة الجامع الجديد (30م) ومئذنة جامع معسكر (23.70م) ومئذنة جامع صفر (16.75م) ومئذنة صالح باي (16.34م). **أنظر**:- Dokali**, Op. Cit**. P. 40 و- Bourouiba,R. **Apports...**, P.274.

(41) - عبد الرقيب طاهر عبد الله ويوسف محمد عبد الله وحسين عبد الله العمري وآخرون، **أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة – دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء**، منظمة العواصم والمدن الاسلامية، الطبعة الثانية، جدة، 1427هـ/2006م، ص.574.

6- من حيث شرفات الجوسق :

من نقاط التشابه الأخرى بين هذه المآذن ذات الطراز المغربي الأندلسي احتواءها على شرفات مسننة سواء تلك التي انتهى بها جدار البرج الرئيسي للمآذن أو التي كللت بها الجواسق.بينما خلت مئذنة جامع الباشا من الشرفات.

7- من حيث التأثيرات :

إن المئذنة المربعة في الجزائر خلال العهد العثماني بما فيها مآذن مساجد وهران لم تكن تختلف في نظامها المعماري عن مآذن الزيانيين و المرينيين على الخصوص، إذ كانت تتكون من برج رئيسي وجوسق متوج بقبيبة مثبت فوقها سفود يحمل تفافيح.

ومن جهة أخرى فإن الباحث والمتأمل في مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير – الذي يجدها لا تمت بكبير صلة إلى مآذن الفترة العثمانية بالجزائر بما في ذلك مئذنة مسجد الإمام الهواري ومئذنة مدرسة الباي من حيث تكوينها الزخرفي – لا يكاد يميزها عن المآذن الزيانية أو المرينية أو حتى الموحدية. أما مئذنة جامع الباشا فتأثرت بنمط المآذن ذات المسقط المثمن التي عرفته بعض مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية.

8- من حيث إبداعات المعماريين المسلمين :

تعد المئذنة أهم موضع على الإطلاق الذي يستخدم فيه السلم بالنظر لضرورة ارتقاء المؤذن إلى سطح البرج الرئيسي لها حتى يَرفع النداء إلى الصلاة.

وجاءت جميع سلالم مآذن المعالم المدروسة من النوع المنكسر المشكل عند كل انكسار زاوية قائمة، وتتعدد هذه الانكسارات وفقا لعدد الدرجات في كل دورة وحسب ارتفاع كل مئذنة.

ففي مئذنة جامع الباشا وصل عدد الدرجات إلى 147 درجة موزعة على 25 دورة وكل دورة مشكلة من ست درجات وأحيانا من خمس دورات وفي الدورة الأخيرة من تسع درجات. وفي مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير بلغ عدد درجات السلم 53 درجة تتوزع وفق نظام خاص على خمسة عشر دورة، كل واحدة تشتمل على تسع درجات باستثناء الثالثة المكونة من عشرة والخامسة المكونة من ثمانية. أما في

مئذنة مسجد الإمام الهواري فبلغ عدد الدرجات 42 درجة مقسمة على تسع دورات كل دورة تتضمن أربع درجات باستثناء الأولى المتضمنة لثماني درجات والأخيرة المكونة من ست درجات. وأما مئذنة مدرسة الباي فعدد درجاتها 53 درجة موزعة على 13 دورة، كل دورة تشتمل على أربع درجات باستثناء الدورتان الخامسة والسادسة اللتان تتضمنان خمس درجات والدورة الأخيرة التي تتضمن ست درجات. أضيئت هذه السلالم من خلال فتحات صغيرة تحتل أعلى الأركان بمتوسط فتحة عند كل ركن.

غير أن الأمر اللافت للانتباه الواجب الوقوف عنده مليا والذي أعتبره ابتكارا إسلاميا محضا هو الاتجاه الذي أخذته جميع سلالم المآذن المدروسة بدون استثناء، وهو الاتجاه المعاكس لعقارب الساعة، وهذا النظام المعماري عرفته – من خلال معايناتنا الميدانية أو حسب علمنا – جميع مآذن الجزائر خلال الفترة العثمانية كما عرفته أيضا مآذن بلاد المغرب والمشرق خلال نفس الفترة والفترات السابقة، بل وعرفته أقدم المآذن القائمة على الإطلاق وعلى رأسها مئذنة جامع القيروان التي تكون قد بنيت مطلع القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى مئذنتي رباطي المونستير وسوسة.

والأكيد أن المعمار المسلم لم يحدد اتجاه الدرج الصاعد بصورة تلقائية بل وفق تقنية علمية مدروسة قد أخذت في اعتقادنا أبعادا دينية وصحية، وحسبنا إذا علمنا أن الطواف بالكعبة يكون عكس عقارب الساعة وكذلك الحال بالنسبة للدورة الدموية والالكترونات والنواة والأرض والقمر والكواكب والمجرات وغيرها. وقد اثبت العلم الحديث أهمية الدوران وفق ذلك الاتجاه فهو أريح لقلب الإنسان، لذلك نجد أن العدائين في مضمار السباق يجرون عكس عقارب الساعة. كما أن السير والصعود في هذا الإتجاه يخفف من الشعور بالدوار والغثيان لاسيما وأن عملية الصعود تتطلب مجهودا عضليا معتبرا، ذلك أن الشعور بالدوار يكون مضاعفا في حال السير والدوران في اتجاه عقارب الساعة. ويبدو أن المسلمين أدركوا هذا الأمر الهام منذ صدر الإسلام فبنوا سلالم مآذنهم دون استثناء وفق ذلك الاتجاه[42]، وفي المقابل فإن سلالم المباني المدنية بنيت دون مراعاة لاتجاه معين بحكم محدودية ارتفاعها الذي لا يتعدى غالبا الطابقين[43]، مع العلم أن معظم المهندسين المعماريين إن لم نقل كلهم لم يدركوا إلى اليوم قيمة هذه التقنية التي ابتكرها المسلمون وذلك منذ مطلع القرن الثاني الهجري على الأقل.

---

(42) - لقد تأكدنا من هذا الأمر من خلال معاينتنا للعديد من المآذن سواء داخل الجزائر أو خارجها وأيضا من خلال المخططات والصور للمآذن التي لم يتح لنا معاينتها.

(43) - يذكر قنصل أمريكا بالجزائر **وليام شالر** (1816-1824م) أن ارتفاع المسكن الذي كان يقيم به يبلغ 42 قدما (13.86م) علما أن جميع المساكن –كما يذكر- كانت على طراز واحد من حيث الحجم والشكل. - وليام شالر، **المصدر السابق**، ص. 94.

ومن جهة أخرى كانت تزود رؤوس جواسق بعض المآذن بعمود (سارية) تُرفع عليه راية خلال مواقيت الأذان نهارا، وفي الليل تُستبدل تلك الرايات بمصباح مضيء إعلانا بدخول وقت الصلاة لمن لا يتسنى له سماع الآذان[44]، وهو الأمر الذي تأكدنا منه بالاعتماد على ما ذكره الرحالة الألماني هابنستريت الذي زار مدينة الجزائر العام 1145هـ/1732م حيث قال : "... ففي أذان الظهر يعلق فوق المنارة علم أبيض

وبعد منصف النهار (العصر) يعلق علم أخضر"[45]، وفي ذات السياق يقول الرحالة الألماني هاينريش فان مالتسان الذي أقام بالجزائر لمدة خلال منتصف القرن الثامن عشر :" ولا توجد في المدينة (الجزائر) سوى أربعة مساجد حقيقية تقام بها صلاة الجمعة بصورة منتظمة ويرفع فوق منارتها العلم الأبيض خمس مرات يوميا إيذانا بحلول مواعيد الصلاة"[46]، وهذا فعلا ما تبين لنا من خلال رسومات ليسور **(Lessore)** وويلد **(Wyld)** حيث تظهر جليا الأعلام البيضاء المعلقة في السرايا[47]. وكان الأمر لا يختلف في باقي المدن – حسب ما نعتقد – ومنها مدينتي البليدة والمدية[48]، بالإضافة إلى مدينة وهران حيث تثبت ذلك بعض اللوحات الفنية (رسومات) المنجزة في بداية الاحتلال أين تظهر تلك

---

(44) - جمعة أحمد قاجة، **المرجع السابق**، ص. 353.

(45) - هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)**، دار الغرب الإسلامي، تونس ، ب.ت. ص. 38.

(46) - هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص. 24.

(47) - **أنظر** على سبيل المثال اللوحات 3 و8 و14 من كتاب : - Lessore, E., et Wyld, W., **Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, pendant l'année 1833**, Charles Motte, Paris, 1835.

(48) - **أنظر** : - Claude-Antoine Rozet, **Voyage dans la régence d'Alger ; ou Description du pays occupé par l'armée française en Afrique**, Arthus Bertrand, Laibraire-Editeur, Paris, 1833, Cartes; 5, 8, 13 et 14.

رسم 1: مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير.

رسم 2 :

الأعلام (الرايات) فوق جوسق المآذن[49] (أنظر الرسم 1). أما المصابيح (القناديل) التي كان من المفترض استعمالها ليلا فلم نقف عليها إلا من خلال لوحة واحدة لأحد مساجد مدينة المدية تضمنها كتاب غوزات (**Rozet**)[50] (أنظر الرسم 2).

الخاتمة :

شكلت المئذنة ومنذ ظهورها عنصرا أساسيا يكاد لا يخلو أي مسجد منه، ومع مرور الوقت اتخذت أشكالا مختلفة غير أن مساجد بلاد المغرب والأندلس ظلت وفية مدة طويلة جدا لنمط المآذن

(49) - يبدو أن هذا التقليد استمر العمل به إلى غاية مطلع القرن العشرين على الأقل، وهذا من خلال ما بينته بعض الصور التي التقطت خلال الفترة المذكورة. **أنظر** : - Reclus Onésime**, Sites et Monuments,** P. 33, 39 et 43.

(50) - Rozet, **Voyage dans la régence d'Alger,** Carte; 16.

ذات المسقط المربع إلى غاية فترة التواجد التركي حيث ظهرت أشكال أخرى أهمها المئذنة ذات المسقط المثمن، ومع ذلك فإن معظم مآذن مساجد الجزائر بنيت وفق النمط التقليدي ومنها مآذن مساجد وهران التي جاء مسقطها مربعا باستثناء مئذنة جامع الباشا ذات الشكل المثمن، ومع ذلك فإن التركيبة المعمارية لجميع هذه المآذن جاءت متماثله، ولا يبدو الإختلاف إلا من حيث الجانب الزخرفي، فمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير بدت وكأنها صورة طبق الأصل للمآذن الزيانية أو المرينية أو حتى الموحدية ولو بدرجة أقل مما يبرهن على التواصل الحضاري الحاصل.